Available online at http://jgu.garmian.edu.krd

Journal of University of Garmian

https://doi.org/10.24271/garmian.2023.10348

جدلية العلاقة بين الإحباط ونزعة الاحتجاج لدى الشباب الكوردستاني (تحليل سوسيولوجي)

عبد الحميد علي سعيد البرزنجي، صابر علي حسن الحريري

قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين، اقليم كردستان العراق

Article Info

Received: May, 2023

Revised: May, 2023

Accepted: June, 2023

Keywords

الاحباط، الحرمان النسبي، العدوانية، نزعة الاحتجاج

Corresponding Author

Saber.hariry@gmail.com

abdulhameed.barzinchi@su.edu.krd

الملخص:

إن التمرد والاحتجاج ظاهرة إنسانية وتاريخية عرفتها جل المجتمعات والثقافات البشرية المختلفة، وتتميز هذه الظاهرة بقدرتها على خلخلة البنيات الإجتماعية والسياسية والثقافية، لاسيما بنيات الأنظمة التي تتسم بنزعاتها السلطوية والاستبدادية.

ويشهد العراق وإقليم كوردستان - على السواء - تنامياً ملحوظاً لأشكال وصور الإحتجاجات في السنوات الأخيرة، ففي أكثر من مناسبة ظهرت الحركات الإحتجاجية وهي تمارس فعلها التنديدي كرد فعل على ضغوطات سياسية وإجتماعية وإقتصادية ونفسية، وانتكاسات حقوقية، من طرف (الدولة) أو غيرها، لعل أبرزها والتي أصبحت تطفو على السطح مايتعلق بسلسلة الإخفاقات التي أفرزتها عجز النخبة السياسية من تقديم البدائل والحلول للمعضلات التي أصبح المجتمع يتخبط فيها والتي إنتهت الى بروز أنماط سلوكية متعددة ومعبرة عن نزعات احتجاجية صارخة لدى الشباب خاصة المحتجين، من قبيل السخط والتذمر والتمرد إزاء الواقع الاجتماعي والمتدهور بسبب انتشار البطالة وسوء الخدمات، والتي ظهرت على إثرها العديد من الانحرافات السلوكية والمشكلات الاجتماعية، بين فئات وقطاعات واسعة من الشباب، كالإدمان والإنخراط في عصابات السرقة وأتساع ظاهرة التطرف والعنف.

وعليه، فأن هذه الدراسة تهدف الى تقديم رؤية سوسيولوجية حول جدلية العلاقة بين الشعور بالإحباط والنزعة الاحتجاجية لدى الشباب الكوردستاني وتحليل الأسباب الكامنة وراء هذه الظاهرة والتي تبدو للعديد من المراقبين والباحثين تستوجب البحث بالنظر إلى ما يجري من تحولات سياسية سريعة محلياً وإقليمياً وحتى دولياً.

المقدمة:

يختلف الناس فيما بينهم في مدى ما يتحملونه من إحباط، ولكل فرد مستوى معين من الإحباط، لا يستطيع أن يتحمل إحباطا أعلى منه في الدرجة، وإن زاد الإحباط عن مستوى معين ظهرت لدى الفرد نزعات احتجاجية كامنة (ميول واستعدادات جسمية - نفسية وعقلية وعاطفية)، او ربما تترجم سلوكياً (حركياً) كأسلوب دفاعي ينتهجه الفرد المحبط لتخفيف ما ينشأ عن ذلك الإحباط من؛ توتر، قلق، استياء، امتعاض، ألم نفسي، حيث تعتبر كمية الإحباط الناشئة عن إشباع حاجات الفرد وتحقيق أهدافه دالة على ثلاث متغيرات هي: مدى أهمية الحاجة المحبطة عند الفرد، ومدى الإعاقة التي يواجهها والتي تؤدي إلى إحباطه، ثم عدد المرات التي يفشل فيها الفرد في إشباع حاجته أو تحقيق أهدافه، وعندها قد يوجه الفرد مقاومته للإحباط بعدوان على مصدر الإحباط وقد يوجهه على نفسه، ويتوقف ذلك على قوة العوامل التي تحول دون توجيه العدوان إلى أي من تلك الوجهتين، وإذا تساوت قوة الكف التي تحول دون توجيه العدوان إلى أي من تلك الوجهتين، فيصبح احتمال توجيه العدوان ضد الذات أقوى في حال اعتقاد الفرد أنه مسؤول عن فشله (إحباطه).

هيكلية الدراسة:

تتكون الدراسة الحالية في هيكليتها من أربعة فصول أساسية فضلا عن المقدمة وقائمة المصادر، وكالتالي:

الفصل الأول: الإطار العام للدراسة.

الفصل الثاني: الإطار النظري للدراسة.

الفصل الثالث: جدلية العلاقة بين "الإحباط" و"نزعة الاحتجاج" لدى الشباب (تحليلها ومناقشتها).

الفصل الرابع: عرض نتائج الدراسة إستنتاجاتها وتوصياتها.

الفصل الأول: الإطار العام للدراسة

أولاً: مشكلة الدراسة:

يوصف المجتمع العراقي والمجتمع الكوردستاني بأنهما من المجتمعات المأزومة والمُحبَطة والمُستَلَبة، وكلها توصيفات ذات دلالات تحليلية وتفسيرية مفيدة، فالفرد (الشاب) العراقي اليوم تفكيره أزماتي البنية، يرى في الحرية وهماً وفي الوهم حريةً، يشعر بعجزه عن المشاركة السياسية الفاعلة في أحداث بلاده، لا يستطيع أن يغادر عقدة كونه "رهينة" لقوى كاسحة حتى في حال الغياب الموضوعي لتلك القوى (نظمي،2010: 1).

والنتيجة جيل كامل من الشباب المحبطين أصبح يملأ المجتمع العراقي والكوردستاني على السواء جراء الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية المتردّية، وانعدام المساواة في الحصول على الفرص المتاحة، وغياب شبه تام للبرنامج الحكومي إزاء سياسة التشغيل العام، الى جانب أنظمة تحترم حقوق المواطنين وآراءهم.

حيث أصبحت الحياة في نظر أغلبية الشباب الكوردستاني لا تطاق، بعد أن ارتبطت في أذهانهم بالعنف المستشري، وانعدام فرص العمل، والمستقبل المجهول، والتفسّخ الإجتماعي، وشيوع التخلف في مفاصل المجتمع، مما دفع الكثيرين منهم إلى الهجرة بحثاً عن الأمن وفرص العمل.

وعليه، فإن واقع الحرمان والفقر أصبح –وكما يلاحظ – يساهم بشكل خطير في زيادة حالة ما يسمى بالتشرذم الاجتماعي، وتؤدي حالة الحرمان (الدائم والمؤقت) عن الحقوق والمواطنة، وما يصاحبها من مشكلات اجتماعية وضغوطات اقتصادية، على إصابة غالبية الشباب المتعطل والمستبعد، بحالة من الإحباط الشديد المزمن، وحالة من عدم الثقة بالنفس، وخاصة لدى حملة الشهادات الجامعية، مما يدفعهم هذا الشعور - بعد أن وصل الى مستوى الغليان - إلى التفكير جدياً بالانتقام من المجتمع الذي يرفض منحهم فرصة العيش الكريم، كما ويدفعهم هذا الشعور إلى التفكير جدياً بالمشاركة والمساهمة في كل نشاط احتجاجي يسهم في زيادة الضغط على النظام أو النسق العام كرد فعل على واقع الحرمان والتهميش.

ويعتقد –الباحثان- أن المشكلة الرئيسة في الدراسة الحالية تتمثّل في جدلية العلاقة بين الشعور بالعجز والإحباط، وطبيعة النزعة الإحتجاجية لدى الشباب الكوردستاني، لذا ومن هذا المنطلق بالإمكان طرح التساؤلات التالية:

1. ماهي مؤشرات الشعور بالإحباط لدى الشباب الكوردستاني؟
2. ماهي مؤشرات النزعة الاحتجاجية لدى الشباب الكوردستاني؟
3. ما علاقة الشعور بالإحباط بالنزعة الإحتجاجية لدى الشباب الكوردستاني؟

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع: تتلخص مبررات اختيار موضوع الدراسة في النقاط التالية:

1. الإحساس والشعور بمشكلات الشباب بحكم القرب منهم، فضلا عن ممارسة وظيفة التدريس من قبل الباحثان كونها وظيفة دائمة الاحتكاك بشريحة الشباب.
2. الرغبة في إضافة وإثراء التراث العلمي والاجتماعي - النفسي، خصوصا بعد ما تم ملاحظته - بحسب إطلاع الباحثان-، من ندرة لمثل هذه الدراسات الواقعية التي تعمل على إحياء النظريات القديمة لتعكسها على الواقع، وإسقاطها على ما هو حديث.

ثالثاً: أهمية الدراسة: يمكن تلخيص أهميّة الدراسة الحالية بالنقطتين التاليتين:

1. تنبع الأهمية العلمية لهذه الدراسة من أهمية الفترة الراهنة التي تمر بها المجتمع الكوردستاني في العراق والتي تسعى فيها منظمات وجماعات متطرفة الى محاولة إيجاد ثغرات فيها بهدف إستمالة عقول وعواطف أفراده وإستهدافه، بالتالي خلق حالة من عدم التماسك والإستقرار المجتمعي ومن ثم النيل من الإستحقاقات القومية والوطنية للشعب الكوردستاني، وكنتيجة مترتبة على ذلك، تنامى لدى فئات واسعة من أفراده، الشعور بالغبن والظلم والإفتقار الى المساواة والإنصاف، مما أنتج شعوراً لدى الغالبية منهم بالعجز والفشل والاحباط، وقد عبّروا عنها علانيةً – ومازالوا - بالسخط والتذمر والدفع باتجاه إقامة المسيرات والوقفات والاعتصامات والإحتجاجات.
2. كما وتبرز أهمية الدراسة، من كون واقع الإحتجاجات الشبابية تعد حقيقة واقعية وملموسة في مجتمعنا الكوردستاني، ومع ذلك فإن هناك ندرة في الدراسات الاجتماعية الميدانية التي أجريت حول هذا الموضوع في علاقته بمؤشرات الإحباط. حيث أن المواقف الإحتجاجية - الشبه اليومية - التي تشهده عموم المدن والمحافظات – وإن تكن بشكل متقطع - في الاقليم بأشكالها المختلفة لم ينشأ جزافا أو دون سبب، بل له أسبابه وعوامله

الموضوعية، وإن معرفة أسباب الظاهرة وجذوره، وعلاقته بالشعور بالإحباط من مناحي الحياة الاجتماعية والنفسية والسياسية والإقتصادية، تعد غاية في الأهمية لتحديد طرق مواجهتها، من خلال سن التشريعات والضوابط والإجراءات التي تحول دون حدوثه في المجتمع.

رابعاً؛ هدف الدراسة: تحدد هدف الدراسة في محاولة الإجابة على التساؤلات البحثية من خلال تحليل العلاقة الجدلية بين الشعور بالإحباط والنزعة الاحتجاجية لدى الشباب الكوردستاني وعلى النحو الآتي: -

1. التعرف على مؤشرات الشعور بالإحباط لدى الشباب الكوردستاني؟
2. التعرف على مؤشرات النزعة الاحتجاجية لدى الشباب الكوردستاني؟
3. الكشف عن طبيعة علاقة الشعور بالإحباط بالنزعة الإحتجاجية لدى الشباب الكوردستاني.

خامساً؛ تحديد مفاهيم الدراسة:

1. الإحباط: Frustration

هو حالة نفسية تترتب على إعاقة السلوك نحو هدف أو إشباع حاجة أو دافع، وربما يكون العائق خارجياً من بيئة معادية، أو ظروف إجتماعية غير مواتية، وربما يكون داخلياً نتيجة قصور في الشخصية أو صراعات نفسية أو مشاعر الذنب (الحفني، 2005: 194).

كما ويعرف الإحباط: بأنه فشل المرء في إرضاء دوافعه أو إشباع حاجاته، فينشأ عن ذلك حالة من التوتر النفسي أو التأزم النفسي يطلق عليها " الإحباط" وقد ينجم عن إزدياد التوتر الناشئ عن الإحباط ظواهر نفسية وأساليب توافقية شاذة تختلف باختلاف الأشخاص والظروف المحيطة (المليجي، 2000: 57).

ويحدد (بدوي، 1978) هذا المفهوم بأنه " الحيلولة دون الفرد وتحقيق رغبته المادية أو المعنوية سواء كان لهذه الرغبة ما يبررها أو لا، ويصاحب ذلك ضرب من الحسرة وخيبة الأمل، ويترتب على فشل الفرد في إشباع حاجاته اتجاهه نحو سلوك عدواني aggression أو انطوائي regression أو التَثْبِيت fixation أو الانسحاب من الموقف resignation (بدوي، 1978: 170).

وبدورهما يشير كل من (الغباري، وأبو شعيرة، 2015) الى الإحباط بأنه " حالة انفعالية غير سارة قوامها الشعور بالفشل وخيبة الأمل تتضمن إدراك الفرد بوجود عقبات تحول دون إشباعه لما يسعى إليه من حاجات ودوافع (الغباري، وأبو شعيرة، 2015: 332).

2. النزعة الإحتجاجية: Tendency protest

- **النزعة: Tendency** وتعرف بأنها الحالة الداخلية للفرد للنزوع الى القيام بسلوكيات معينة (المعجم النفسي الطبي، 2008 :669). وهي أيضاَ حالة شعورية مصحوبة برغبة عارمة تجاه شيء ما (ontology.birzeit.edu)، كذلك يذهب (صليبا)، الى اعتبارها ميل وحركة، وتشمل الحاجة، والشهوة، والغريزة والرغبة، وغيرها من النشاط التلقائي. ويقسمه (صليبا، 2007: 463) الى:

1) نزعات شخصية (tendency personals) وهي التي تهدف الى تحقيق مصلحة صاحبها.
2) نزعات غيرية (tendency altruists) وهي التي تدفع الفاعل الى تحقيق مصالح الآخرين.
3) نزعات عالية (tendency superetitive) وهي التي تهدف الى تحقيق غايات مجردة أعلى من الغايات الفردية أو الإجتماعية.

- **الإحتجاج: The protest** في قاموس المعاني تعني اعتراض واسْتِنْكار، إعلان رَفْض ومقاومة. وطبقاَ لـ (ar.wikipedia.org) هو طريقة للتعبير عن رأي جماعة أو حزب سياسي أو شخص، ويكون عادةً في منطقة ذات شهرة واسعة لتوصيل الصوت إلى أغلب شرائح المجتمع.

إذاً، وعلى وفق ما ذكر أعلاه، فأن " **النزعة الإحتجاجية**" هي إستعدادات جسمية وعقلية ونفسية شعورية كامنة لدى الفرد تجعله في حالة تأهب واستعداد نحو القيام بسلوكيات معينة يتفاعل ويتأثر حال اصطدامها بموقف أو عائق تحول دون تحقيق مصالحه ورغباته.

الفصل الثاني: الإطار النظري للدراسة

شهدت البحوث والدراسات الإجتماعية حول الظواهر الاجتماعية والنفسية كالشعور بالإحباط، والنزعة نحو الاحتجاج والتمرد صوراً وأشكالاً مختلفة مما اوجد معها توجهات نظرية متعددة فسّرت الظاهرة، وحاولت كل واحدة منها تفسيرها وفق منهجية ومعايير وأُسس معينة، إلاّ أنها التقت في نقاط مشتركة منها أن العلاقات القائمة بين الناس لها إفرازاتها الواقعية التي تظهر بصورة مفاضلات وصراعات بين الناس سواء من ناحية المسؤوليات أو الحظوظ المادية أو النفوذ أو الوضع المعنوي النفسي.

ومن أجل توضيح أبعاد هذه المسألة – علمياً- فلا بدّ من الاطلاع على نظريات تصدّت للظاهرة، وقد ارتأى -الباحثان- هنا التركيز على مجموعة معينة من التوجهات النظرية المفسرة لـ "الإحباط" و"نزعة الاحتجاج" وكالآتي:

1. الحرمان النسبي: Relative Deprivation

يشير مفهوم "الحرمان النسبي" إلى أن الناس يحتجون ويتمردون على أوضاعهم ليس بتأثير المعنى "المطلق"

للحرمان، ولكن لأنهم يشعرون بالحرمان نسبةً إلى مقايسات يجرونها مع أوضاع أفراد أو جماعات أخرى (نظمي،2010 :1)

وفي كتابهما "علم الاجتماع السياسي" (1982) يوضح كل من "روبرت دوس وجون هيوز" (Robert E. Dowse, John A. Hughes) فكرة الحرمان النسبي على النحو التالي:

إن الناس يضفون قيمة على كثير من الأشياء في الحياة الاجتماعية مثل الثروة، والمكانة، والقوة، والأمن، والمساواة، والحرية ...، وعندما تحبط توقعاتهم لتحقيق تلك القيم أو قيمة واحدة يتطلعون إليها؛ فإن حالة من عدم الرضا والغضب والعداء تتشكل، وهذا الموقف يعرف بـ "الحرمان النسبي" ويشير إلى "التوتر الذي ينشأ من التضارب بين ما ينبغي أن يكون فعليًا فيما يتعلق بإشباع القيم الجمعية، وما هو كائن بالفعل" في (الواقع الإجتماعي) (Dowes&Hughes,1982:412).

فالحرمان يُظهر ذاته بشكل مستمر عن طريق حرمان الأفراد وعجزهم (إحباطهم) عن الاقتراب من الوسائل التي تعود عليهم بالمنافع مقارنة بآخرين لديهم فائض من الوسائل والمنافع، وهذا ما يجعل الحرمان نسبياً، حيث يكون المرء محروماً فقط بالمقارنة مع أعضاء آخرين في المجتمع ذاته، ومن حيث مدى مقدرته على التماهي مع وضعهم، ولذلك ينظر بعض العلماء إلى الاقصاء الاجتماعي باعتباره حرماناً نسبياً مزمناً، فالفرد يكون مقصياً اجتماعياً ضمن هذا الطرح إذا كان ظرف الحرمان مستمراً، ويتجه إلى مزيد من السوء عبر الوقت (Bussert, et al., 2007).

إذن المسألة الحاسمة في تصور الحرمان – كما يرى دوس وهيوز- تتمثل في " الأفكار" التي تؤكد أن الناس يمتلكون فجوة بين ما ينبغي أن يحصلوا عليه، وما يحصلون عليه فعلاً أو يعتقدون أنهم يستطيعون تحقيقه.

فالملاحظ الخارجي قد يعتقد أن هناك أشكالاً متفاقمة من الحرمان، بينما يعتقد المحرومين أن هذا هو النظام الطبيعي للأشياء، ومن هنا فإن الحرمان النسبي يشير إلى الدرجة التي يشعر عندها الفرد أنه محروم وما يترتب على ذلك من غضب وعداء (Dowse & Hughes: 1982: 412).

ويُعرّف (تيد روبرت جير) الحرمان النسبي بأنه إدراك الأفراد للتناقض بين توقعاتهم القيمية ومستوى قدراتهم القيمية، وتتمثل توقعاتهم القيمية في السلع الأساسية وظروف الحياة التي يعتقدون بأن لهم حقاً فيها، أما قدراتهم القيمية فتتضمن السلع والظروف التي يعتقدون بأنهم قادرون على الحصول عليها (جير،2004 :67 - 68).

أما حول البنية التكوينية للمفهوم، فهناك اتفاق واسع اليوم بين الباحثين على إن للحرمان النسبي مكونان أساسيان هما:

- **الإدراكي** (Cognitive C.R.D): وهو اعتقاد بأن التوقعات قد انتهكت مثال: (يمكن أن تدرك الجماعة الخاضعة بأن الطبقة الحاكمة هي المسؤولة عن حالة حرمانها).
- **العاطفي** (Affective C.R.D): وهو رد الفعل العاطفي القوي إزاء حالة اللاعدالة ويتضمن مشاعر الغضب والعجز والاحباط والسخط واللارضا. الأمر الذي قد يتطور ويقود الأفراد والجماعات الى تبني خيار العنف والاحتجاجات بأشكالها المختلفة، وهنا تؤكد نظرية الحرمان النسبي بأن المكون العاطفي هو السبب الأقرب للانخراط في أي فعل احتجاجي ويتوسط التأثيرات بعيدة المدى للمكون الإدراكي (Pettigrew,2002:351).

وعليه فان حالة الحرمان لدى الفرد تصبح حالة من الشعور بالغضب والاستياء عندما تحبط توقعاته بشأن السلع وظروف الحياة التي يعتقد أنه يستحقها، فيصبح مدفوعاً لتعويض عدم المساواة هذه عن طريق تبنّي خيار الإحتجاج والعنف.

2. نظرية "الإحباط – العدوان:

ربط بعض العلماء، ومنهم، (دولارد – Dollarde)، و(دوب – Doob)، و(ميللر – Miller)، و(سيرز – Sears)، بين الإحباط والعدوان، فقالوا إن إدراك المرء أو الجماعات للإحباط وشعوره به، في المواقف التي يُعاق خلالها وصوله إلى هدفه، هو ما يتولّد عنه الغضب الذي سرعان ما يتحول (بعد أن يكتمل شروطه الموضوعية كنزعة كامنة)، إلى عدوان(احتجاج) بصرف النظر عن طبيعة هذا العدوان الشكل رقم (1).

الشكل رقم (1) يوضّح تفسير العلاقة بين الإحباط والنزعة الإحتجاجية وفقاً لنظرية الإحباط –العدوان (مصدر الشكل: عمل الباحث)

ومن ثم أضاف (بيركويتز - Berkowitz) تعديلاً في نظرية "دولارد" و"ميللر" حول علاقة العنف والإحباط بالعدوان (الإحتجاج)، فقال إن المهم، هنا، ليس مجرد الشعور بالغضب، بل ذلك الإحباط الذي يخلق شعوراً عامّاً بالاستعداد والنزعة نحو العدوان (الإحتجاج)، ومع ذلك فإن هذا الاستعداد أيضاً، في حد ذاته، ليس كافياً، بل لا بد أن تكون هناك هاديات (مؤشرات) موجودة في الموقف الخاص أو العام

المثير للإحباط والغضب، وأن هذه الهاديات (المؤشرات) هي التي تستدعي الأفكار والانفعالات المرتبطة بالعدوان (الإحتجاج)، ومن هذه الهاديات، الشعور بالظلم، والحرمان من مزايا مستحقة، والشعور بالتفاوت بين الجهد المبذول والنتيجة المتحققة، وغياب المعايير، وغياب العدالة الإجتماعية، والشعور باللاجدوى، والفقر، والازدحام، والعيش في مناطق عشوائية، والتعرض المتكرر للعنف في وسائل الإعلام، حيث إن هناك عوامل كثيرة وانفعالات تتداخل ما بين الإحباط و النزعة العدوانية (الإحتجاجية)، لعل أهمها ذلك الشعور الخاص بالغضب العارم وكذلك الشعور بالإهانة والعجز والرغبة في الانتقام (عبدالحميد، 2017: 114 - 115).

3. نظرية الحاجات: Needs theory

تدرج الحاجات أو تدرج ماسلو للحاجات أو هرم ماسلو (Maslow's hierarchy of needs) هي نظرية نفسية قدّمها العالم النفسي الأمريكي (**أبراهام ماسلو**- Abraham Maslow (1908 -1970) في ورقته البحثيّة "نظريّة الدافع البشري" عام 1943 في دورية "المراجعة النفسية" العلمية، ثُمّ وسّع ماسلو فِكرَته لتشمل مُلاحظاته حول الفضول البشري الفطري، وتناقش هذه النظرية ترتيب حاجات الإنسان ووصف الدوافع التي تُحرّكه (الموسوعة الحرة - ويكبيديا).

ويستخدم مفهوم الحاجة/الحاجات استخداماً واسعاً في السياسة الاجتماعية والإدارة الاجتماعية، إذ تعد الاحتياجات الأساسية للإنسان من أهم العوامل المحددة للنشاط الإنساني، كما تعكس طابعه الإنساني وعلاقاته بأفراد المجتمع ، ومن أهم تلك الحاجات الحاجة إلى: الطعام والشراب، والكساء، والزواج، والأمن، والشعور بالانتماء والتقدير، والتعليم والتأهيل المهني والصحة البدنية والنفسية، وغيرها من الحاجات التي تتوقف جودة حياة الإنسان على إشباع تلك الاحتياجات، وبدونها لا يمكن أن ينمو نمواً سليماً، وعليه فأن الحاجات هي المحرك الأساسي لنشاط الإنسان وقدرته على بذل الجهد من أجل إشباع احتياجاته (الحايس، 2020: 1). ويرى "ماسلو" أن الإنسان يولد وهو محفز لتحقيق **احتياجات أساسية وحاجات نمائية**، وهذه الحاجات مرتبة في تدرج هرمي تبدأ من أهم الحاجات الإنسانية الأساسية وتنتهي بحاجة الفرد الى تحقيق ذاته:

أ. الحاجات الأساسية (Basic Needs)

1. الحاجات الفسيولوجية: مثل الجوع والعطش وتجنب الالم والجنس.. الى اخره من الحاجات التي تخدم البقاء البيولوجي بشكل مباشر.
2. حاجات الأمن والحماية: وتشمل مجموعة من الحاجات المتصلة بالحفاظ على الحالة الراهنة وضمان نوع النظام والأمان المادي والمعنوي مثل الحاجة الى الإحساس بالأمن والنظام والحماية.
3. الحاجات الإجتماعية (الحب والانتماء): وتشمل مجموعة من الحاجات ذات التوجه الاجتماعي مثل الحاجة الى علاقة حميمة مع شخص اخر، والحاجة الى ان يكون الانسان عضوا في جماعة منظمة، والحاجة الى بيئة او إطار اجتماعي يحس فيه الفرد بالألفة مثل العائلة او الحي والاشكال المختلفة من الانظمة والنشاطات الاجتماعية. حيث يعد اشباع حاجة الانتماء في سنين العمر مطلباً أساسياً لأمن الفرد، وعدم أشباعه أو إحباطه يسبب النبذ أو العزلة أو التهديد في بقية العمر ومصدراً للقلق، وكشفت دراسات عديدة منها دراسات؛ (فتاح، 2008) و(نظمي، 2010) بان عدم توفر فرصة أمام الشباب للتعبير عن ذواتهم وإثبات قدراتهم وتوظيفها من قبل الوالدين ومؤسسات المجتمع، يترتب عليه التمرد والاحتجاج.
4. حاجات التقدير: هذا النوع من الحاجات كما يراه ماسلو له جانبان: جانب متعلق باحترام النفس او الإحساس الداخلي بالقيمة الذاتية، والاخر متعلق بالحاجة الى اكتساب الاحترام والتقدير من الخارج، ويشمل الحاجة الى اكتساب احترام الاخرين، السمعة الحسنة، النجاح، والوضع المرموق.

ب. الحاجات النمائية: (Growth Needs)

5. الحاجة المعرفية: وتشمل الحاجة الى الاستكشاف والمعرفة والفهم، وقد أكد ماسلو على أهميتها في الإنسان هي في تصوره تأخذ أشكالا متدرجة تبدأ بمستويات الأدنى الى الحاجة الى معرفة العالم واستكشافه بما يتسق مع اشباع الحاجات الأخرى.
6. الحاجات الجمالية: وتشمل هذه الحاجات عدم احتمال الاضطراب والفوضى والقبح والميل الى النظام والتناسق، والحاجة الى ازالة التوتر الناشئ عن عدم اكتمال عمل أو نسق ما.
7. حاجة تحقيق الذات: يصف ماسلو مجموعة من الحاجات او الدوافع العليا التي لا يصل اليها الانسان الا بعد تحقيق اشباع كاف لما سبقها، مثل الحاجات الادنى، وتشير تحقيق الذات هنا الى حاجة الانسان الى استخدام كل قدراته ومواهبه وتحقيق كل امكاناته الكامنة وتنميتها الى اقصى مدى يمكن أن تصل اليه، وتشمل تحقيق الذات السعي نحو قيم وغايات عليا مثل الكشف عن الحقيقة وخلق الجمال وتأكيد العدل (Gilbert,1997:47).

ويؤكد "ماسلو" في نظريته على أهمية الحاجات الإجتماعية المتمثلة بالاحترام والتقدير والحب والانتماء، وذلك كون الإنسان كما يراه ماسلو كائن اجتماعي لا يستطيع العيش بدون

الآخرين، فهو يتفاعل معهم ويتصل بهم باستمرار لأجل أن يؤكد الجانب الإجتماعي في طبيعته البشرية، وفي حال انقطاع الإتصال وعزله والتفاعل بينه وبين الآخرين فأنه يشعر بالاكتئاب والقلق والتوتر وينتابه الاضطراب والهياج والإحتجاج والتمرد، وقد أشار (دافيدوف،1983) أن الأفراد الذين يشعرون بالنبذ من قبل أفراد مجتمعهم والإحساس بالرفض الإجتماعي لا يستطيعون النوم، ويهملون صحتهم الشخصية ويعيشون بلا هدف (دافيدوف، 1983 :431).

وتناسقاً مع ما سبق، يعتقد - الباحثان – أن نظرية الحاجات تُقدّم رؤيةً علمية أكثر واقعيةً ومنطقية إزاء الشعور بالإحباط وما يصاحبه من اضطرابات ومشاكل نفسية عديدة، مثل التذمُّر والاحتجاج والاستياء والاهتياج، والشعور بالاغتراب والدونية وعدم تقدير الذات، بحيث تتفق تحليلاتها ورؤاها مع ما تصبو الدراسة الحالية الى تحقيقه، حيث ان النظرية تحاول أن تربط بين أكثر من متغير، وبالتالي فأنها تقدم لنا وجهة نظر علمية دقيقة وفاحصة عن العلاقة الجدلية بين قطبي (الشعور بالإحباط، ونزعة الإحتجاج).

الفصل الثالث

جدلية العلاقة بين" الاحباط " و"النزعة الإحتجاجية" لدى الشباب (تحليلها ومناقشتها)

بداية وقبل الخوض في تحليل العلاقة الجدلية بين الشعور بالإحباط والنزعة الإحتجاجية، علينا أولاً أن نميّز بين "سلوك الإحتجاج" و"نزعة الاحتجاج"، حيث يعتقد (نظمي، 2017) بأن "السلوك الاحتجاجي" يعني قيام الفرد أو الجماعة فعلياً بإجراءات اعتراضية ملموسة تتراوح بين السلمية والعنفية للتعبير عن رفض الموقف؛ بينما تعني "النزعة الإحتجاجية" امتلاك الفرد أو الجماعة لتوجّهات (استعدادات، قابليات) احتجاجية كامنة قد تترجم الى سلوكيات ملموسة أو قد لا تترجم فتبقى نزعة داخليةً فحسب (نظمي،2017: 27).

ويعتقد –الباحثان - بأن هذا التميز بين المفهومين ضروري لكي لا نقع في فخ الإشكالية المفاهيمية حول المفهوم فيما لو تركناه دون تحديد، حيث وكما حدَّدنا – أنفاً - أن (النزعة الإحتجاجية) كمفهوم يختلف عن (السلوك الاحتجاجي)، بمعنى آخر، أن ما يهمنا في هذه الدراسة ونركّز عليه تحليلنا هي (النزعة) الإحتجاجية، وليس (السلوك) الاحتجاجي، لكن - ومع ذلك – ننوه بأن هذا التميز لا يستبعد (السلوك) من دائرة الوجود بمكوّناته الإدراكية (الجانب المعرفي)، والانفعالية (الجانب العاطفي)، حتى وإن كان كامناً في النفس البشرية طالما أن هناك قابلية (رغبة كامنة) متهيأة (حاضرة) تنتظر ظروفاً خاصّة بها لأن تخرج وتنفجر في أي لحظة، وتترجم حينئذٍ فيزيقياً كسلوك (الجانب الحركي) حال تحقق الشروط الموضوعية، وتوفر الأرضية المناسبة لها في إطار النسق العام.

وأما عن كيفية نشوء الإحتجاج وماهية القوى الدافعة له، فقد فسرتها (كما ذكرناها سابقاً) منظورات نفسية إجتماعية ونفسية سياسية عدة، تتصدرها نظرية "الحرمان النسبي" Relative Deprivation والتي ترى أن إدراك الفرد – بصرف النظر عن مدى موضوعية هذا الإدراك – لانخفاض الموارد في حياته، كالدخل والتعليم والصحة والخدمات والضمانات والمكانة الإجتماعية، بالمقايسة مع موارد الآخرين يجعله يعتقد أو يشعر بحرمان أو استياء يدفعه للتحرك فردياً أو ضمن جماعة، لاستعادة ما يظنه حقاً له (نظمي، 2017: 25 – 26).

في هذا السياق يلاحظ بأنه وفي ظل التدهور الاقتصادي، واتساع الانفلات الأمني في مرحلة ما بعد سقوط النظام (2003)، قد انتشرت مشاعر السخط وعدم الأمان لدى شريحة الشباب، بسبب واقع الحرمان والإحساس بعدم الوفاء بالوعود، وعدم استشعار تغيير حقيقي في الواقع الإجتماعي السائد، الأمر الذي ولّد فيهم مشاعر العجز والإحباط والفشل، ومن ثم تعاظمت الفجوة بين ضخامة التوقعات وتواضع المكاسب (الحرمان النسبي)، ما جعل الشباب يشعرون بالغضب والاستياء لإخفاق الأنظمة الإنتقالية (الحكومات المتعاقبة)، في ترجمة الأهداف الثورية وشعاراتها، وفي مقدمتها العدالة الإجتماعية والإندماج الاجتماعي التي ينشدها الشباب الى واقع ملموس.

وعلى الرغم من التضحيات والأرواح التي أزهقت، حيث كانت الفئات الشبابية الأكثر شعوراً بخيبة الأمل والإحباط بسبب التناقض بين تضحياتها في أثناء الثورة التشرينية [1]، وعدم تحقيق إنتظاراتها بعدها، وبسبب ما يعدّونه منحىً (لا ثورياً) أصبحت تسير فيه الأنظمة الجديدة.

وكان من بين نتائج هذا الحرمان، تدمير مشاعرهم بالكرامة والعزة والطمأنينة والفاعلية، وحشرهم جمعيّاً في إطار معيّن من اليأس والإغتراب عن وجودهم الإجتماعي والإنساني، فضلاً عن تحويل قطاعات مهمة ومنتجة من المجتمع الى شرائح رثّة عاجزة (محبطة) عن امتلاك وعي متقدم بمعنى الحياة وغاياتها، تحركها دوافع العنف والعجز وقيم القبح والعدمية، تبرر مظلوميتها بمسلّمات (قدرية) نابعة من فتاوى كهنوتية أنتجتها (عقلية بشرية جامدة ومتخلفة)، حيث إن الذي يحدد طبيعة رد الفعل الجمعي نحو الظلم، هو العوامل النفسية الاجتماعية الكامنة خلف رد الفعل هذا (حرمان، سخط، التعصّب، إحباط، التوتر، القلق، الشعور بالدونية)، وهي

(1) الثورة التشرينية: إشارة الى الموجة الإحتجاجية الثالثة التي انطلقت في العراق في الأول من تشرين الأول 2019 وماتزال مستمرة الى الآن (نظمي،2017 :35).

عوامل تنتج عن العلاقة الجدلية بين المفهوم النفسي للعدالة والخصائص الشخصية والموقفية المرافقة له في لحظة تأريخية معينة (نظمي، مصدرسابق: 34 -35).

والتعصب ک (أحد مكونات الإحتجاج)، وفقاً لنظرية "الإحباط" هو إظهار أو تنفيس لعدوانٍ مُزاح ناتج عن الإحباط، فعندما يُعاق الشخص عن تحقيق أهدافه، فإنه يمر بخبرة الإحباط الذي يؤدي إلى الشعور بالعدوان تجاه مصدر الإحباط، وفى كثير من الحالات قد يكون مستحيلاً، أو غير مقبول اجتماعياً أن يظهر ذلك العدوان تجاه المصدر الأصلي (Robert.S. Feldman,1985:173).

وهذا التفسير إن دلّ على شيء فإنه يدلّ على أن الانفعالات النفسية (غضب، تعصّب، توتر...) تنشط بسبب العجز والإحباط، وقد تعمل على إثارة البواعث النفسية لرد الفعل الجمعي إزاء مصدر الإحباط؛ بمعنى أنه يعمل على إذكاء وتفعيل النزعات الإحتجاجية لدى الأفراد المحبطين.

وهنا يرتبط مفهوم الإحباط نفسياً بمفهوم الحاجة، بمعنى أن الفرد أو الجماعة عندما يواجهون عائقاً أمام تلبية احتياجاتهم، سواء المادية أو الإجتماعية أو النفسية، فانهم يمرّون بمشاعر وأحاسيس سلبية تنتج عن إحباط مشاعرهم الإيجابية، فيما لو تحققت لهم إشباعاتهم التي يسعون إلى تحقيقها مثل الحصول على وظيفة أو الزواج أو النجاح في الدراسة أو الالتحاق بالجامعات أو دراسة تخصص معين...، فالإنسان عموماً، والشباب بصورة خاصة، يواجه في حياته العامة العديد من الاحباطات الناتجة عن الإخفاق في تحقيق بعض أو كل احتياجاته الأساسية، وكلما كان الفرد يحمل طموحاتٍ كبيرة لتحقيق العديد من الإنجازات، كلما كان عرضة للإحباط بشكل أكبر، والشباب في أي مجتمع يحملون النسبة الكبرى من تلك الطموحات لتحقيق احتياجاتهم وتأمين مستقبلهم على خلاف الشرائح الأخرى، وبالتالي يكون الشباب والشابات أكثر عرضة لمشاعر الإحباط.

وتكمن خطورة الإحباط فيما يخلّفه من آثار تتراوح ما بين الغم والكرب والإحساس بالضيق، مرورًا بمشاعر اليأس والركون إلى اللامبالاة، وتصل الآثار أحياناً إلى ممارسة العدوان على الآخرين والتخريب، أو توجيه العدوان على الذات إذ تصل في بعض الأحيان إلى اللجوء إلى الانتحار (القليوبي،2010: 1).

إذ وبحسب دراسة بعنوان (الوعد الثوري: التحول من مفاهيم الشباب في مصر وليبيا وتونس)، والتي أجراها المجلس الثقافي البريطاني (British Council) بالتعاون مع مركز جون جيرهارت (John D. Gerhard Center) للأعمال الخيرية والمشاركة المدنية بالجامعة الامريكية بالقاهرة واستغرقت عبر الشهور الثمانية الأخيرة من عام (2012)، ان أكثر ما خيَّب آمال الشباب الناشطين وأحبطهم، في كل من تونس ومصر وليبيا، هو استئثار الفاعلين العسكريين والسياسيين - الاكبر سناً والأكثر خبرة – باتخاذ القرار في مرحلة اعادة البناء الوطني، هذا في الوقت الذي كان الشباب، الذي قاد الثورة، يتوقع الإنصات إلى صوته وتلبية احتياجاته، وتؤكد الدراسة، أن الشباب المصريين الذين قادوا الثورة ضد النظام السابق بلغ بهم الإحباط مداه حتى أصبحوا يتساءلون: هل قمنا بالثورة؟ (British counsil,2013:23).

ان هذا التساؤل من قبل الشباب المصريين بكل ما فيها من دلالات ومعاني ورؤى مختلفة، أصبحت اليوم وبفعل الحراك الاحتجاجي المتواصل في العراق، الهاجس المشترك والباعث الرئيسي الذي يشغل بال الشباب المحتجين، إذ أدرك الشباب العراقي - أخيراً - وقد أحبطهم الواقع الاجتماعي السائد بعد (2003)، أن ثورتهم قد سرقت منهم على غرار شعور الشباب المصريين، على أيدي دوائر زبونية (محلية وإقليمية وعالمية) لا تمت بصلة بالوطنية وحتى الإنسانية، مما حدى بهم الى تبنّي خيارات أكثر واقعية ومنطقية برفضهم عبر حراك احتجاجي متسلسل، لنتائج الثورة التي أنهت حقبة من الدكتاتورية، حيث لم تجري الرياح بما يشتهيه سفن الثوار الشباب، ولم تفضي سقوط النظام الى الغاء معاناتهم وإنقاذهم من واقع البؤس والإقصاء والحرمان كما كانوا يطمحون اليه، بالعكس من ذلك فقد ازدادت من مستوى فقرهم وحرمانهم الأمر الذي أدّت الى تراكم الإحباطات لديهم وجعلهم يعانون أشد معاناة. ومن المؤكد بان الفقر، وبؤس العيش، ونقص الخدمات والبطالة، تولّد مشاعر الرفض والغضب تجاه السلطة، حتى وإن لم تظهر تلك المشاعر بشكل سياسي مباشر، فإنها تبقى بشكل باطني، وتتجلى في أفعال أو اتجاهات سلوكية تعبر عن الرفض للسلطة والمجتمع كتنظيم الإحتجاجات مثلاً.

وقد يكون هذا السبب وراء التأييد الواسع للشباب والفئات الإجتماعية المختلفة للحراك الاحتجاجي التي تشهده العراق، إذ وبحسب تقرير المؤشر العربي (2020/2019)[2] أن ما نسبته (82%) من العراقيين يؤيدون هذا الحراك مسجّلة أعلى نسبة تأييد على مستوى الأقطار العربية التي تعاني من الاضطرابات السياسية والإقتصادية والإجتماعية كتلك التي تعيشها العراق.

أما بالنسبة للشباب في المجتمع الكوردستاني، فالصورة نفسها كما في المحافظات الجنوبية إن لم تكن أكثر قتامةً، فقد أثبتت العديد من الدراسات النفسية التي تعرضت لموضوع الإحباط لدى الشباب (مصطفى ،2013)،(IOM,2013)،

[2] المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، المؤشر العربي 2019 / 2020، ص 31.

(محمد، 2019)، أن مستوى الإحباط لديهم يمثل نسبة كبيرة وتدعو للقلق، وقد يرجع ذلك إلى عدم تماسك المجتمع، واتساع رقعة الإقصاء والتهميش، الفقر والبطالة، عدم تحقق الإنتظارات المرجوة، مما يدلّ على ضيق الرؤية لدى المؤسسات الإجتماعية والإقتصادية والسياسية القائمة، على تأمين احتياجات الشباب، حيث يعتبر الشباب شريحة فاعلة ونشطة من شرائح المجتمع، القريب لمستنقع العنف والإحتجاج، والسبب أن الشباب هم أبناء مختلف طبقات المجتمع وفئاته، ومن ثم فإن المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية تترك آثارها السلبية عليهم بدرجة أو بأخرى، وبخاصة فيما يتعلق بارتفاع معدل البطالة ونقص فرص العمل، وارتفاع كلفة الحياة، وزيادة الإحساس بعجز النظم السياسية عن توفير متطلبات الحياة الكريمة، مما يجعل مواقفهم أقرب للقوى الرافضة للأوضاع والسياسات والنظم القائمة.

حيث يتعرض الشباب الكوردستاني بفعل الكم الهائل من التغيرات والتحولات المجتمعية (السياسية، الإقتصادية، الإجتماعية، النفسية، الثقافية) فضلاً عن إتساع دائرة اللامساواة الإجتماعية، وبالتالي تعقُّد الحياة الإجتماعية، إلى عدد من الإحباطات المستمرة والصراعات النفسية والإجتماعية، وصعوبة بلوغ الهدف وإشباع الحاجات، تمخّض عنها نتائج خطيرة على الشباب منها الاستبعاد والتهميش الإجتماعي، الذي إنعكس في زيادة انتشار نسبة الجرائم والانحرافات لدى الشباب، وشيوع ظاهرة الإدمان وتعاطي المخدرات، وهجرة أعداد كبيرة من الشباب إلى خارج البلاد مما أدى إلى خسارة جانب مهم من جوانب التنمية الإجتماعية بل أصبح هوس الهجرة لدى الشباب يدور في رأس كل شاب فقد فرصة تحقيق حاجاته داخل بلاده التي لا يمتلك فيها حرية التعبير وتحقيق الذات، لذلك فإن حرمان الشباب من فرص الحياة وعدم الوقوف إلى جانبهم وتحقيق أهدافهم ومتطلباتهم سيشكل خطراً يهدد أمن المجتمع واستقراره، وكذلك سوف يسهم في هدر الطاقة البشرية كعنصر من العناصر المؤدية للتنمية البشرية، وأن هذا كله سوف يؤدي إلى تفاقم الأزمات الإجتماعية والإقتصادية والنفسية ولاسيما تدهور العلاقات الاجتماعية، ورغبة الشباب بالهجرة واللجوء إلى خارج البلد بسبب استبعادهم وشعورهم بالوحدة والإغتراب والإحباط، وهذا كله يهدد مسيرة الحياة الإجتماعية للشباب الكوردستاني.

بناءً على ذلك، يواجه الفرد الشاب في المجتمع العراقي/الكوردستاني، لاسيما في الوقت الحاضر، مجموعة من الأحداث والمواقف المحبطة ينعكس تأثيرها على مجمل حياته اليومية، بحيث تجعل من مسألة تعامله معها أمراً لا يخلو من الصعوبة وربما يفوق قدرته على تحملها (النعيمي،2007: 1).

حيث يعتقد – الباحثان - أن الأفراد - وخاصة الفئات الشابة - لا يتحملون حالات الحرمان والجوع بصورة متساوية، بل أحيانا عند نفس الفرد لا تكون ردّات فعله على الحرمان متساوية، ولذلك نجد أنه إذا كان الحرمان والجوع عامة في المجتمع كله، لا يؤدي بالفرد إلى درجة عالية من الإحباط، ولكن إذا خصّهُ الحرمان والجوع فقط يكون هناك احباط وحقد، ومن ثم عدوان أو احتجاج، وهذا ما يفسّر الحقد الطبقي عند المجتمعات المنقسمة، وهذا يفسر عدائية الشباب المندفعين ضد مجتمعهم الأم، وضد ممتلكات الدولة، عبر سلسلة من المواقف الإحتجاجية والاستعدادات النفسية الباعثة على التمرد والثورة عليه، رغم انه يمكن أن يكون النخب الإجتماعية والسياسية هم الأساس أو السبب في حالة الإحباط التي يشعرون بها، وكأنهم يعاقبون المصدر بما يفعلونه ضد أنفسهم والمجتمع.

ويعدّ الإستبعاد الإجتماعي للشباب الكوردستاني احدى أهم الإشكالات السوسيولوجية التي تطرح بحدة في نقاشات واضعي السياسات العامة على مستوى الإقليم، نظراً لحجم الشباب عموماً ضمن التركيبة الديمغرافية للمجتمع الكوردستاني، والتي يحوز فيها الشباب النسبة الغالبة من السكان، فبحسب إحصاءات الحكومة الرسمية[3] فقد بلغ نسبة الشباب من الفئة العمرية (10 -30) سنة (39.5%) ورغم أن هذه الفئة هي مورد مهم ودعامة للتطور والابداع الخلاق، إلا أنها وبالعودة كرونولوجياً إلى طبيعة سير السياسات العامة في داخله بخصوص الشباب، نجدها لا تزال قاصرة رغم عمر الاستقلال الإداري المتمثلة بحكومة الإقليم التي تعدى من عمرها قرابة ثلاثون سنة، هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى، انتظارات هؤلاء الشباب وحاجاتهم ومطالبهم المتعددة، التي تجعل من عدم تلبيتها أو تحقيقها، سبباً أساسياً لنقمة وسخط واستياء الشباب وعدم ثقتهم في جدوى هذه السياسات، وربما يتطور الأمر لتشكل انتفاضتهم واحتجاجهم عليها، نظراً لشعورهم بالتهميش، والإقصاء، إلى جانب إحساسهم بالظلم والإضطهاد في ظل حكمهم بالفشل والإحباط الناشئ جراء هذه السياسات. فالإحباط من المشاعر المريرة الذي يدل على معاناة الفشل وتثبيط الهمة والعزم، ويشعر الفرد عندما يصاب بالفشل بخيبة الأمل، لذلك يعتبر الإحباط من المشاعر السلبية التي تضر بالإنسان والتي أصبح أفراد المجتمع

[3] هيئة إحصاء إقليم كوردستان، مسح الفتوة والشباب 2019 / خلاصة وتحليل المسح، ص 1.

يتعرضون لها بصورة متزايدة يوماً بعد يوم (العيسوي، 1985: 121).

إذاً، عدم تلبية وتحقيق مطالب وحاجات الشباب تولّد إحباطاً يترجم سوسيولوجياً بعدم قدرة مختلف السياسات الموجهة لهذه الشريحة على توفير عناصر الإندماج لها، ومن ثم هذا الأمر يجعل الشباب في وضع حرمان إجتماعي، يؤدي بدوره في جانب من مخلفاته إلى تعاظم نقمة وسخط واستياء واحتجاج لدى هذه الشريحة باعتبار أن العديد من انتظاراتها لم تتحقق، فرغم التجارب والبرامج التي توالت منذ انبثاق حكومة الإقليم وخصّت شريحة الشباب، غير أنها لم تفضي إلى تلبية طموحات الشباب ومطالبه، إلا في جانب منها، ما كرّس واقعاً من الحرمان والإقصاء لنسبة مهمة من هذه الشريحة بخصوص حقوقها وفرصها في الحياة الكريمة والشكل رقم (2) توضّح هذا الطرح.

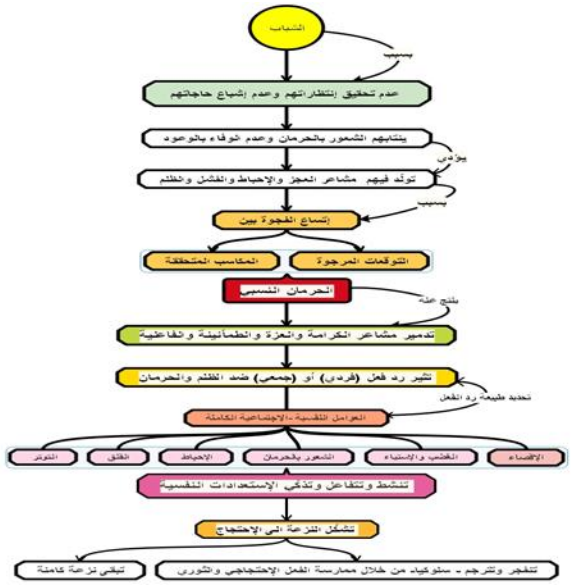

الشكل رقم (2) توضّح طبيعة العلاقة بين الإحباط والنزعة الإحتجاجية وفقاً لنظرية الحرمان النسبي
(الشكل من عمل الباحث)

كما ويمكن تفسير هذه العلاقة في ضوء الآثار التي تخلفها السياسات التوزيعية على البنى الاجتماعية والقيمية والسلوكية في المجتمع، فسوء عملية التوزيع يساهم في توسيع الهوّة بين الطبقات وتضخيم التناقضات الاجتماعية والتفاوتات الاقتصادية داخل المجتمع، الأمر الذي يمكن أن يؤدي الى الإحباط على مستوى الفرد، والسخط على مستوى الجماعة، وبذلك تصبح هناك بؤر للتوتر والصراع، تهدّد بالانفجار متى وجدت الظروف المناسبة (ابراهيم، 1999: 252).

حيث تعاني بعض المجتمعات في بعض فترات التحول الإجتماعي الذي تمر به (كالمجتمع الكوردستاني)، من الظروف الإقتصادية الصعبة، التي تنعكس على هيئة ارتفاع معدلات البطالة في المجتمع، وخاصة البطالة بين الشباب، وهي البطالة التي تنتج عن التحول إلى اقتصاد السوق، وإلى القطاع الخاص باعتباره القطاع الذي يشكل قاطرة التنمية، كما ترجع البطالة كذلك لترسخ ثقافة العمل الحكومي في عقولنا، وعدم استيعابنا لثقافة العمل الحر، التي يتبنى الشباب في نطاقها المبادرات الذاتية لإنتاج فرص العمل، يضاف إلى ذلك الهدر الإقتصادي الذي يحدث بفعل ظواهر سلبية عديدة، بحيث يعجز الإقتصاد في هذه الأحوال عن توليد فرص العمل الملائمة للشباب، ونتيجة لذلك لا تتوفر دخول للشباب وذلك في مواجهة حاجاتهم الكثيفة التي تتطلب الإشباع، كالحصول على مسكن، وتشكيل أسرة، وممارسة الحياة بصورة معتادة، بحيث تفرض هذه الظروف الإقتصادية على الشباب نوعاً من المعاناة (ليلة، 2015 : 310 -311)، وفي مقدمتها ظاهرة الحرمان وما تمثّله من مشاعر نفسية سلبية كالفشل والشعور بالعجز والإحباط، لذلك وبغية التخلص من هذه المعاناة وإعادة التوازن النفسي، يتفاعل هذه العوامل النفسية مكوّنة حالة من السخط والاستياء الذي يتولّد منه نزعة نحو الرفض والإحتجاج على واقع المعاناة هذه، وعندما يحبط محاولاته عن إشباع القيم التي تعيد اليه التوازن، قد يترجم هذه النزعات سلوكياً فيتجه الى ممارسة الفعل الاحتجاجي وربما العنف والثورة.

كما ويعتقد - الباحثان - أن الشباب تعد الشريحة الأكثر تأثرا بالنكسات الإجتماعية والاقتصادية والسياسية التي عصفت بالمجتمع الكوردستاني، وإذا ما أخذنا بعين الإعتبار أن الشباب يمثلون مصدر الطاقة الإجتماعية التي تستطيع تغيير الواقع المرزي الحالي بكل حيثياته، فهم على الرغم من ذلك يعانون من نكسات جوهرية تجعلهم أكثر تشاؤماً وإحباطاً.

فالإحباط الذي يعاني منه الشباب الكوردستاني يترجم نفسه في كثير من الأشكال، أشدها بروزاً إعلامياً، ظاهرة الإحتجاج والعنف المجتمعي من جهة، وتفاقم ظواهر المخدرات وبروز نسبة الجرائم المختلفة من جهة أخرى.

ثنائية العلاقة بين "الإحباط"، و"نزعة الإحتجاج"

إضافة إلى ما سبق، قد يحدث الإحباط نتيجة تلك المقارنات التي يقوم بها أفراد أو جماعات بينهم وبين آخرين، كأن يقارنوا، مثلاً، بين ما يحصلون عليه من أجور أو مزايا أو وظائف أو أراضٍ، وما يحصل عليه الآخرون الموجودون في مركز السلطة أو صنع القرار، ومن حولهم، أو بين الوضع الداخلي السيء في بلادهم، والأوضاع الجيدة لبلاد أخرى يعتقدون أنها تستغلهم أو كانت تستغلهم، وما تزال تهدد وجودهم وقيمهم ومستقبلهم الآن، وعندما تحدث مثل هذه المقارنات، تتولد مشاعر وإحساسات بالظلم والحرمان والغبن

والإقصاء (عبدالحميد، المصدر نفسه: 115)، وتترجم - حين يتوفر الظروف المناسبة لها -سلوكياً إزاء مصدر الظلم والإحباط، على شكل مواقف وممارسات معبِّرة عن الرفض والإحتجاج والاعتراض، أو التمرّد والثورة.

ويعتقد - الباحثان – بأن الإحتجاج يحدث نتيجة حالة الإحباط التي تصيب بعض الأفراد في المجتمع والناتجة عن التفاوت الحاصل بين شرائح هذا المجتمع، حيث توجد شريحة تسعى إلى إقامة المساواة بين أفراد المجتمع، وشريحة أخرى تسعى إلى الاحتفاظ بالامتيازات والمكاسب التي تتمتع بها، وهنا لا بد أن تصطدم إرادة المساواة بإرادة دعاة التفاوت، فتلجأ الشرائح التي تشعر بالحرمان والإحباط إلى الأسلوب الإحتجاجي المصاحب للعنف، محاولة منها للحصول على حقوقها التي تعتقد أنها سلبت منها.

ويستدل من معطيات هذا التحليل عند اقترانها بالجانب النفسي والانفعالي للشباب في إقليم كوردستان/العراق، بأن هذا الميل الاحتجاجي والتمرّدي الناشيء لدى الشباب، الى جانب رفضهم لكل القيم السائدة داخل المجتمع، ما هي الا ردّة فعل منطقية إزاء واقع الحرمان والاحباطات المتراكمة لديهم، الأمر الذي يمكن أن نتنبأ من خلاله، من أنه قد تؤدي بهم الحالة (مستقبلا) الى إمكانية شروعهم في توسيع دائرة احتجاجاتهم أو حتى التمرد على مايعتقدون أنه السبب وراء حرمانهم واحباطهم ضمن الإطار العام للمجتمع، فالشباب – كما يلاحظ– يتمتعون باستعدادات جسمية وعقلية ونفسية كامنة نحو الإحتجاج والتمرّد، الأمر الذي لابد وأن يلقى لدى الجهات المعنية اهتماماً عاجلاً بها قبل أن يستفحل، والا فانها ربما سوف تترجم سلوكياً لتتحول الى نوع من الحراك والاحتجاج المصاحب للثورات.

الفصل الرابع

عرض نتائج الدراسة (إستنتاجاتها وتوصياتها)

أولاً: نتائج الدراسة:

بناءً على ما سبق من التحليلات ومناقشتها فقد توصلت الدراسة الى النتائج التالية:

1. يمر الشباب في إقليم كوردستان/ العراق، بظروف أبسط ما يمكن أن توصف به أنها الظروف المصاحبة لمراحل الانتقال وما يعتريها من توتر وقلق، عدم استقرار، عدم وضوح للرؤية، ولعل ذلك راجع إلى السياق الإجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي يعيش في ظله.
2. يتعرض الشباب الكوردستاني بفعل التغيرات والتحولات المجتمعية (السياسية، الإقتصادية، الإجتماعية، النفسية)، فضلاً عن إتساع دائرة اللامساواة الإجتماعية، وبالتالي تعقُّد الحياة الاجتماعية الخاصّة بهم، إلى عدد من الإخفاقات المستمرة والصراعات النفسية والإجتماعية، وصعوبة بلوغ الهدف وإشباع الحاجات، تمخّض إثرها نتائج خطيرة على الشباب أبرزها الحرمان والشعور بالعجز والاحباط، الذي إنعكس في زيادة نسبة البطالة وانتشار الجرائم والانحرافات لدى الشباب، وشيوع ظاهرة الإدمان وتعاطي المخدرات، وهجرة أعداد كبيرة منهم إلى خارج البلاد، لذلك فإن حرمان الشباب من فرص الحياة وعدم الوقوف إلى جانبهم وتحقيق أهدافهم ومتطلباتهم، سيشكل خطراً يهدد أمن المجتمع واستقراره، خاصة وقد تضخّمت بعد أن تشكّلت لديهم استعدادات نفسية وعاطفية وجسمية كامنة، ربما تنفجر في أية فرصة مواتية.
3. يعاني الشباب الكوردستاني من فقدان الشعور بالانتماء الحقيقي لمجتمعه الذي يراه عاجزاً عن تلبية رغباته واحتياجاته وتأمين مستقبل له مما عزّز لديه الشعور بالاحباط فضلا عن الرفض للقيم الخاصة بحضارته وكذا المعايير الإجتماعية السائدة والسلطة.
4. إن سيطرة مشاعر اليأس والإحباط والسلبية والحرمان لدى الشباب، عملت على غرس إستعدادات نفسية وجسمية تثير في قرارة أفكارهم ومشاعرهم نزعات إحتجاجية التي ربما تترجم على شكل سلوكيات ومواقف ضاغطة على المجتمع والسلطة معاً.

ثانياً: إستنتاجات الدراسة:

بناءً على ما سبق من التحليلات وعرض النتائج لنا أن نستخلص الاستنتاجات التالية:

1. أن الشباب عموماً، يمثلون أهمية كبرى بالنسبة لمختلف الشعوب والأمم عامةً، وللمجتمع الكوردستاني خاصةً، وتشغلهم مجموعة كبيرة من الحاجات والمطالب التي يعدّونها أساسية بالنسبة لهم، مثل:
   - حاجات فسيولوجية (الطعام والشراب، الأنشطة الجسمية...).
   - حاجات نفسية (الشعور بالانتماء، والإندماج، وتقدير الذات ...).
   - حاجات اجتماعية (القبول والتقدير والاحترام ...).
2. يتسم الشباب بسمات وخصائص تميّزهم عن باقي الشرائح الأخرى، لكنهم وبالرغم منها، فإنهم يواجهون مواقف ومشاكل **إجتماعية** كالتهميش والصعوبة في الانسجام والتوافق، ومشاكل **نفسية** كالتوتر والقلق والفشل والشعور بالاحباط، ومشاكل **إقتصادية** كالبطالة ونقص الدخل، ومشكلات **صحية** كالإدمان على الإنترنت والمواد المخدّرة..، كذلك مشكلات **نفسية - سياسية** كضعف المشاركة السياسية، إضافة لطائفة أخرى

مختلفة من المشاكل تبعاً لخصائصهم والمرحلة العمرية التي يمرّون بها.

3. وكنتيجة حتمية لمجمل هذه المواقف والصعوبات والمشكلات التي تواجهها هذه الشريحة المتميّزة، أصبحت تعاني ألماً ومخاضاً عسيراً جراء واقع الحرمان والإحباط، وأن عوامل الحرمان والتهميش هما أكبر وأشدّ من عوامل الإحباط من حيث التأثير على الشباب في نزعتهم نحو الاحتجاج والعنف.

ثالثاً: توصيات وإقتراحات الدراسة:

في ضوء ما توصلت اليها الدراسة الحالية من نتائج واستنتاجات، يوصي الباحثان الجهات المعنية، بما يأتي:

1. من واجب الحكومة الاتحادية وكذلك حكومة الإقليم العمل بمبدأ العدالة وتوسيع قاعدة المشاركة العامة والفاعلة للشباب في الأنشطة الإجتماعية الأساسية الحياتية في مجالات (الإقتصاد، السياسة، الإدارة، التربية والتعليم، الصحة، الإنتاج والإستهلاك...)، وإتاحة الفرص أمامهم، تمهيداً لإندماجهم في المجتمع العام.
2. كما وتوصي الدراسة التدريسيين في مدارس وجامعات الإقليم بضرورة إيلاء موضوع الإحباط لما له من انعكاسات سلبية على فاعلية أداء الشباب، من خلال تهيئة البيئة المناسبة والهادفة لتعديل أبعادها الانفعالية، وصولا بها الى المستويات المتوازنة، باستخدام وسائل التأثير الاجتماعي المتاحة، كالمحاضرات التثقيفية، وعقد ورش العمل، والدورات التدريبية لتنمية المكون المعرفي والانفعالي التكيفي في شخصية الشباب.
3. على المؤسسات الرسمية ذات العلاقة ضرورة وضع برامج وخطط لمواجهة حالات الإحباط والفشل الذي يستشعره الشباب الكوردستاني من خلال اتباع طرق وأساليب نفسية، تتضمن التقدم باتجاه الهدف عند التعرض لمشكلة أو عقبة ما.
4. على الآباء والقائمون على أمور الشباب، الاهتمام برعاية الشباب وتنمية قدراتهم الإبداعية، من خلال مراعاة الجانب النفسي والانفعالي الخاصة بهم، وعدم ممارسة الضغط عليهم، والعمل على التخفيف من حدّة ومستوى التمرّد والاحتجاج لديهم.
5. ضرورة اهتمام وسائل الاعلام المرئية، والمسموعة، والمقروءة في كوردستان، بموضوعات خاصة بمشكلات الشباب، عبر رصد مظاهرها وابراز مساوئها للرأي العام، وذلك من خلال عقد ورش عمل صحفية وندوات جماهيرية وعمل تحقيقات صحفية تبيّن آثارها الضارة في تنشئة الجيل الواعد ومستقبلهم

أخيراً، واستكمالاً للدراسة الحالية وتطويراً لها، يقترح الباحثان على الباحثين مستقبلاً، اجراء الدراسات التالية:

1. اجراء دراسات مماثلة للدراسة الحالية على شرائح اجتماعية اخرى مثل (الموظفين، العمال، الحرفيون، النازحين...)، ومقارنة نتائجها بنتائج الدراسة الحالية.
2. اجراء دراسة عن مستوى الشعور بالإحباط لدى الطالبات من خريجات الجامعات الكوردستانية.
3. إجراء دراسة حول علاقة وسائل الاعلام بالعنف والاحتجاجات الشبابية في إقليم كوردستان.

قائمة المصادر

1. إبراهيم، حسنين توفيق (1999)، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، ط2، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان.
2. الحايس، عبد الوهاب جودة (2015)، تقدير الاحتياجات الأساسية للسكان المحليين كمدخل للتنمية الشاملة، (دراسة منشورة)، دار التل للطباعة، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، العدد:3.
3. الحفني، عبد المنعم (2005)، موسوعة عالم علم النفس، ج1، ط1، مكتبة مدبولي، مصر.
4. دافيدوف، لندال (1983)، مدخل الى علم النفس (ترجمة: سيد الطواب وآخرون)، دار ما كجرو هيل للنشر ودار المريخ للنشر، الرياض – السعودية.
5. صليبا، جميل (1985)، المعجم الفلسفي، (ثلاثة أجزاء)، ذوي القربى للنشر، قم- إيران.
6. عبد الحميد، شاكر (2017)، التفسير النفسي للتطرف والإرهاب، ط1، سلسلة مراصد، العدد (37)، وحدة الدراسات المستقبلية بمكتبة الإسكندرية- مصر.
7. غباري، ثائر أحمد؛ وأبو شعيرة، خالد محمد (2015)، سيكولوجية الشخصية، ط1، مكتبة المجتمع العربي، عمان – الأردن.
8. غير، تيد روبرت (2004)، لماذا يتمرد البشر؟، ط1، ترجمة ونشر مركز الخليج للأبحاث، دبي، الامارات العربية المتحدة.
9. القليوبي، خالد محمد (2010)، الإحباط عند الشباب.. الأسباب والعلاج، (مقال) على موقع: المدينة أونلاين، متاح على الرابط: https://www.al-madina.com/article/42774/
10. محمد، فائز إبراهيم (2019)، الأنومي الاجتماعي في إقليم كوردستان، دراسة ميدانية (باللغة الكوردية)، ط1، معهد السياسات العامة، مطبعة رۆژهەلات – أربيل -العراق.
11. مصطفى، يوسف حمة صالح (2013)، شباب العراق/ تحديات وفرص من الاقصاء الى المواطنة، بحث منشور في وقائع منظمة الأمم المتحدة/ برنامج التنمية البشرية.
12. المؤشر العربي، تقرير المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019 / 2020،
13. المليجي، حلمي (2000)، علم النفس الاكلينيكي، ط1، دار النهضة العربية، بيروت –لبنان.
14. منظمة الهجرة الدولية (IOM) (2013)، التقرير السنوي، اصدار المنظمة الدولية للهجرة، سويسرا.
15. النعيمي، خالد عبدالرحمن (2007)، السلوك العدواني المتعلم قراءة تحليلية لنظرية الإحباط –العدوان، دراسة (منشورة)، في مجلة كلية التربية جامعة المستنصرية، العدد (4).

16. نظمي، فارس كمال (2010)، المحرومون في العراق هويتهم الوطنية واحتجاجاتهم الجمعية دراسة في سيكولوجية الظلم، ط1، دار ومكتبة البصائر، بيروت، لبنان.
17. نظمي، فارس كمال (2017)، سيكولوجيا الاحتجاج في العراق، ط1، دار سطور للنشر والتوزيع، العراق.
18. هيئة إحصاء إقليم كوردستان (2019)، مسح الفتوة والشباب / خلاصة وتحليل المسح.
19. Bussert, Walter & D'Ambrosio, Conchita & Peragine, Vito (2005): Deprivation and Social Exclusion, European Commission-DG Research Sixth Framework Program (Polarization and Conflict Project CIT-2-CT-2004-506084), February.
20. British Council (2013), The revolutionary promise: youth perceptions in Egypt, Libya an d Tunisia, John D. Gerhart center for philanthropy and civic engagement.
21. Dowse, Robert Edward. & Hughes, John A. (1972). Political sociology. London; New York: Wiley.
22. Feldman, Robert S. (1985). Social psychology: theories, research, and applications / Robert S. Feldman. New York: McGraw-Hill.
23. Gilbert, P. (1997). The evolution of social attractiveness and its role in shame, humiliation, guilt and therapy. *British journal of medical psychology*,*70* (2),113-147.
24. Pettigrew, T. F. (2001). Summing up: Relative deprivation as a key social psychological concept. In I. Walker & H. Smith (Eds.), Relative deprivation: Specification, development and integration (pp. 351-373). New York: Cambridge University Press.
25. Feldman, Robert S. (1985). Social psychology: theories, research, and applications / Robert S. Feldman. New York: McGraw-Hill.